ولكن الدور الأول في « ديكاميرون » لم يكن مسندا إلى طبقات العصور الوسطى وأسرها النبيلة بل إلى الانسان الواقعي ابن الأرض ، الذي كان باستطاعته الارتقاء فوق وضعه الاجتماعي (الخباز تشيستي) أو الانحدار دون ذلك كما حدث لملك قبرص الذي وبخته احدى السيدات الغسقونيات .

ان ابطال « ديكاميرون » الذين يجتاح الطاعون عالم العصور الوسطى من حولهم لايعرفون التشاؤم . فالضحك الذي يرن متخللا احاديثهم ضحك مرح حيوي ، انه الضحك الذي يودع به المجتمع الانساني الجديد مجتمع العصور الوسطى المحتضر .

ولكن الكاتب لايكتفي بالضحك على الماضي ، بل هو يؤكد في آخر كتابه تلك المثل الجديدة التي تضمن ، من وجهة نظره ، حياة خالدة للانسان وللانسانية بأسرها .

لقد لاقى « ديكاميرون » نجاحا كبيرا في القرن الرابع عشر ، ولكنه كان نجاحا سطحيا وغير عميق الجذور ، فالمثقفون الانسانيون لم يفهموا « ديكاميرون » فهما صحيحا في عصره . وانقضت مئة عام ، على الأقل ، قبل أن تصبح افكار مجتمع « ديكاميرون » ولغته واساليبه ، افكار النثر الايطالي الحديث ولغته واساليبه . لقد سبق بوكاتشو في « ديكاميرون » عصره بل تجاوز نفسه أيضا .